

التنسيق قد افنتحه بخطبة انيقة الوضع رشيقة السجع قد جمعت بين حاشيتي
الفصاحة والبلاغة وصيغت على قالب البيان والايجاز احسن صياغة
وعقب على اثرها بمقدمة ذكر فيها فضل التاريخ وادب المؤرخ وما ينبغي
ان يراعيه في التعبير من التجاني عن الاغراب والايغال والترفع عن
الركاكة والابتدال فجلى عن الصواب بعبارة بليغة الاساليب جزلة
التراكيب حرية بان تكون دستوراً ينتهي اليه وحكماً لا يعقب عليه
وقد ابتدأ التاريخ بذكر اول من دخل مصر من ابناء نوح عليه
السلام ثم جاء بذكر طبقات ملوك مصر الثلاث من الفراعنة الاولين
ففسقهم واحداً واحداً ثم سرد من تعاقب بعدهم من ملوك الفرس والفراعنة
المتأخرين ومن تلاهم من الفرس الثانية والمكدونيين والبطالسة والقياصرة
الى الملك هرقل وهو آخر من ذكر في هذا الجزء وختمه بتمهيد لما سيحي
بعده من الفتح الاسلامي واطمحلل دولة الروم وكل ذلك بعبارة موجزة
اللفظ سهلة المفهوم فنتي عليه بما يستحق عناؤه في تأليف هذا الكتاب
ونسأل له التوفيق الى اتمامه افادة للطلاب

المنار - وردنا الجزء الاول من جريدة بهذا العنوان تطبع في مدينة
بيروت وهي جريدة دينية علمية اخبارية صاحب امتيازها حضرة الفاضل
الشماس ارسانيوس الحداد ومديرها ورئيس تحريرها حضرة الاستاذ البارع
الشيخ رشيد نفاع وهي تصدر مرة في الاسبوع وقيمة اشتراكها ريالان
مجيدان في بيروت ولبنان مع اضافة اجرة البريد في الخارج فتمنى لها النجاح

فكاهات

رواية

العدل اساس الملك (١)

وهي رواية تاريخية حدثت على عهد الملك هنريكس الرابع احد ملوك
انكلترا في اواخر القرن الرابع عشر وكان ارتقاء هذا الملك الى السرير على
اثر الفتن الداخلية المعروفة بحرب الوردتين وكان كبير وزرائه اذ ذاك المريكز
سالسبري احد ذهاة السياسة ودهاقتها المعدودين . فلما سكنت نائرة الفتنة
جعل هذا الوزير همه في تدارك ما اختل من احوال المملكة واصلاح امور
الاحكام وتوطيد السلام على امتن قواعده . وكان الملك من ارباب الورع
والصلاح فكان يقضي اكثر اوقاته في العبادات والصلوات لانه رأى من حزم
وزيره وحصافة عقله ما كفاه مؤونة الاهتمام باحوال الملك فوكل اليه امر
السياسة والاحكام واطلق يده في العقد والحل بما يرشده اليه رايه . فنهض بما
فوض اليه اتم نهوض ولم يمض عليه الا سير زمن حتى اصبحت انكلترا كأنها
سلسلة واحدة تقاد بأسرها لتدير ذلك الحازم وتجري على ما سن لها من القوانين
وكان اول شيء اهتم به امر الشرطة ليتمكن بهم من البحث عن
العائنين في البلاد وقطع دابر الثوار واصحاب الدسائس ثم عكف على ترتيب

(١) معرفة عن الانكليزية بقلم نسيب الشامي المشعلاني

مجالس القضاء فجعلها طبقات تجوز الاحكام من ادناها الى الذي يليه حتى تنتهي الى مجلسه فلا ينفذ حكم الا بعد ان ينظر فيه ويصدر عن منطقه وبعد ما فرغ من تقرير احوال المملكة واجرى امور الرعية على محاورها انصرف الى تدبير شؤون نفسه والنظر في احواله الخاصة وكان يميل الى فتاة من بنات الاشراف يقال لها مرغريتا بديعة المحاسن لطيفة الذات كاملة الادب فاقترب بها واقاما على اهنأ عيش يتجاذبان اهداب المسرات ويرتماز في ظل السعادة والنعيم

وكان للمركيز وكيل على بيته واملاكه يقال له بطرس لا ينحط عن مولاه في الحزم والدربة وسداد الرأي فمال اليه الوزير لما رأى من كفايته وخبرته وحسن قيامه على اعماله وولاه تدبير جميع مهماته فكان يحكم في امواله وعقاره لا ينازعه في ذلك منازع وليس عليه فيه مسيطر . فلما اقترن مولاه ونظر الى مولاته الجديدة وما هي عليه من الجمال واللاطف وقع حبها في قلبه وحدثه نفسه بمغازلتها الا انه لم يقدم على ذلك تيمناً من مقامها وخوفاً من مولاه الوزير واستمر الحال على ذلك نحواً من سبعة اشهر وهو لا يزداد الا كلفاً وهياماً وآخر الامر صمم على مفاتحتها بما يجد من حبها وجعل يتربص الفرص وينتهاز الاوقات الى ان رآها يوماً جالسة في حديقة القصر فاسرع اليها وقد جمع في يده باقة من الازهار وقدمها اليها فقبلتها منه شاكراً مبتسمة ثم اقبل يحادثها بعبارات من التودد والملق شفت عن بعض ما في ضميره غير انها لم تكذب تلمح منه ذلك حتى احمرت وجتها من الغضب فقاطعته الكلام وقالت له اليك يا بطرس عن هذا الحديث واعلم من التي

تطارحها عواطف حبك وغرامك . انك ربما فعلت ذلك مع غيري من النساء فسوّت لك نفسك ان تجترى عليّ بمثله ولكن ينبغي ان تعلم ان ليس كل الناس سواءً فعدي عما انت فيه واياك ان تعيد مثل هذا الكلام على مسمي مرة اخرى غير ان ذلك لم يكن ليردع بطرس عن غيّه فما ازداد الا تمادياً في جسارته فدنا من المركيزة ضاحكاً وفتح فاه للكلام وقبل ان ينطق ببنت شفة وثبت المركيزة كاللبؤة الفاقدة اشبالها ورفعت كرسيتها في وجهه وصاحت به بغضب شديد اخرس ياقبيح واغرب عن وجهي واعلم انك ان تعرضت لي بمثل هذا مرة اخرى اعلمت مولاك بخبرك وانت ادري حيثئذ بما يكون . وما اتمت كلامها حتى اخذت تفقز كالظبي وقد اصابه سهم الصياد حتى دخلت غرقها فاستلقت على سريرها وهي ترتجف من الغضب . وخطر لها ان تكشف زوجها بالامر غير انها اشفت على الخادم من سوء العاقبة فاضمرت ان تطوي كشحاً عنه لعل تهديدها يكفيه

اما بطرس فجعل يخبط في اودية الحيرة ولم يدر ما يصنع لعلمه بان سيدته ان اخبرت مولاه بالامر كان فيه هلكته لا محالة فاخذ يقلب وجوه الحيلة ويستفتح ابواب الدهاء والساعات تمر عليه وهو لا يشعر بها الى ان اقبل مولاه في المساء وكان من عادته في اكثر الايام ان يخلو به قبل ان يدخل قصره للنظر فيما حدث من مهمات النهار . فلما دخل عليه وجدته غائبة في تيارات الافكار وعلام الحيرة تلوح على وجهه فقال له مالي اراك اليوم مرتبكاً فانكر فالح عليه فقال اني قد وقفت اليوم على سر عظيم يتعلق بشرف مولاي وراحتي وانا متردد بين ان اطلع عليه او احتال في القبض

على الحية الرقطاء فاسحق رأسها بقدمي . قال وما هو هذا السر افصح عنه فوراً . قال اني يا مولاي اخشى العواقب . قال لا تخش شيئاً وتكلم في الحال قال اذا لم يكن بدٌ من الكلام فاسمع يا مولاي . اني منذ دقائق قليلة بينا كنت جالساً امام هذا الطاق لمحت في اُخريات الحديقة شبحين يتمشيان رويداً تظهر سوقهما من وراء الأغصان المتدلية فبادرت الخروج لانظر من هناك فما كاد يُسمع صوت خطوي حتى رأيت احدهما قد وثب فقلقت جدار الحديقة فاسرعت لعلني اقبض عليه او المح وجهه ففأنتني وبقي الشبح الآخر واقفاً مبهوتاً . فنظرت فاذا مولاتي المركيزة فلم اجسر ان اكلمها بشيء وعدت ادراجي الى هنا ولبثت حائرًا بين ان اخبر مولاي بالامر او اتبعه بنفسي واكفي مولاي ما فيه من تكدير صفوه وتعريض المركيزة لعواقب سخطه وانتقامه

ولم يكذب بطرس يتم النطق بأخر كلمة حتى اتقدت عينا المركيز بنيران الغضب ثم ارغى وازبد وجعل يدور كالجمل الهائج ومرّ بالقرب من بطرس فطمه بيده فالفاه صريماً ثم هجم الى جهة القصر وتوجه تواء الى غرفة زوجته فالفاه جالسةً بهيئتها الملكية فلما رآته نهضت لاستقباله على عاداتها فرفسها برجله وصاح وهو يفور من الغضب ابعدي عني ايها الدنسة فلولم يكن من العاران الطخ يدي بدمك لارسلتك الآن الى الجحيم التي قذفتك الي . اغربي عني واخرجي في هذه الدقيقة من بيتي ولا تُرني بعد الآن هذه الهيئة المقوتة . ثم نادى احد الخدام فامرهُ بحملها الى خارج باب الحديقة فاحتملها لوقتِه والقاه خارج الباب ثم اوصده وتركها هناك

وكانت المركيزة قد أُغمي عليها في تلك الساعة لشدة ما اخذها من الوهل والدهش فلم تنبته من غشيتها الى اواسط الليل فلما افاقت وعلمت اين هي اخذت تراجع ما سمعت من زوجها وعلمت ان ذلك كان بمكيدة بطرس فبكت بدموع سخية ثم جلست تفكر ما عساها ان تفعل فلم تجد خيراً لها من ان تهاجر الى بلد بعيد تخلصاً من سماع التقولات والاراحيف . فتوكلت على الله وقامت تسعى تحت ذلك الليل حتى خرجت من البلد وكان قد بزغ الفجر فالت عن جادة الطريق ودخلت في برية مقفرة فجعلت تسير حيناً وتستريح حيناً الى ان مالت الشمس للغروب فرأت على مسافة منها في تلك البرية بناءً من خشب فقصدته وقرعت بابه فلما فتح لها اذا عجوزٌ شمطاءً وبيتٌ تدل هيئته على انه مطعمٌ حقير . فلم تكدر رجلاها تطأ داخل المنزل حتى سقطت مغشياً عليها لفرط ما اخذها من الجهد والاعياء فبادرت اليها العجوز بشيءٍ من المشروب وسقتها حتى انتعشت وافاقت ثم حملتها فوضعتها على سريرها وجاءت بها بشيءٍ من الطعام فتناولت ما امسك رفقها وبعد ما استراحت قليلاً التفتت الى العجوز وقالت يا أمه اني امرأة شقية قد رماني الدهر بنكباته فلا تسألني عن ماضي فلست الابنت الساعة اسالك اغاشني ان كان في قلبك موضعٌ للرأفة . واعلمي اني فقيرةٌ وحيدة طريدةٌ وما كنت لأضن بروحي على المنية لولا حياةٌ في احشائي هي اثم من حياتي اود ان القيها الى الدنيا قبل ان اموت فهل لك ان تبقيني عندك حيناً واكون في خدمتك بشرط ان لا تخبري احداً من البشر بوجودي عندك ولا تدعي مخلوقاً سواك يرى وجهي . وكانت العجوز قد اخذتها

الشفقة عليها لما رأته وسمعت منها فمسحت يديها الحشتين الدموع المترقرة من مآقيها وقالت لها على الرحب والسعة يا ولدي وقد علمت انكسار قلبك فلا ازيدك انكساراً بالاكثر عليك من الاسئلة التي ربما تجدد جراحك . ثم أعلمك اني مقيمة وحدي في هذا المنزل وقد بنيت بقصد المعيشة لقوم من فعلة المعادن في القرية المجاورة يأتونني كل ليلة فيأكلون ويشربون ثم ينصرفون فان احببت اعطيتك غرفتي الداخلية تقيمين فيها وتساعدينني في الطبخ والغسل . فشكرت المكيمة احسانها ودخلت الغرفة وكانت تساعد العجوز وتخدمها بما تقدر عليه .

وبعد ان اتى على المكيمة نحو الشهرين استدعت العجوز وقالت لها اني شاعرة بقرب مفارقتي للدنيا فاطلب منك دفني في هذه الحقل والعناية بعدي بالولد الذي سأضعه الي ان يطالبك به من يهمله امره . وفي الليلة نفسها وضعت المكيمة غلاماً وبعدها علمت بولادته سالماً انطرحت على سريرها واسلمت الروح

ولما اقبل الفعلة في الغد طلبت اليهم العجوز مساعدتها في دفن نزيلتها فتعجبوا من ذلك واحترفوا لها قبراً فواروها فيه وشفق احداهم على الطفل فاستأذن العجوز ان يأخذها الى زوجته لتربيته وسماه جاك . ولما بلغ الولد ست سنوات من عمره عاد الى منزل جدته العجوز فتلقته فرحة واخذت تدربه على تقديم المشروب الى الفعلة فكان يسقيهم ويشرب معهم ونشأ على معاشرتهم القبيحة فكان كلما تقدم في السن تمكن منه الملكات الرديئة من السكر والسرقه والاقدام على الشرور والمنكرات حتى اذا كانوا في احد

الايام على الشراب كعادتهم وهو بينهم وقد اخذت الحرة منه ومنهم رأى مع احداهم شيئاً من النقود فانتشل منه خنجراً وطعنه به في صدره فلقاه صريعاً ثم خطف منه تلك النقود وفر في عرض الصحراء

ومن ذلك الوقت توحش في البراري والفقيرة عيشة اللصوصية وسفك الدماء فكان يقطع الطرق ويسطو على السابلة فيقتل ويسلب ولم يمض عليه مدة يسيرة حتى تفاقمت شروره واشتهر اسمه واهتمت الحكومة بالقبض عليه فكان يتخلص من احدق شرطتها بفنون عجيبه من المكر حتى وقع خوفه في قلوب الجميع وصار اذا ذكر اسمه في شارع من شوارع لندن رأيت الناس يزحم بعضهم بعضاً للهرب من وجهه

واما المكيمة فانه بعد ان طرد زوجته اثر ذلك الحادث في نفسه اثراً شديداً فلم يصف له عيش ولم يهنأ له بال وكذلك بطرس فانه كان يقاسي من تعذيب ضميره ما منعه القرار حتى نحل جسمه ثم استولى عليه مرض شديد عجز الاطباء عن شفائه ولما احس بقرب اجله استدعى مولاه واعترف له بجنايته وطهارة المكيمة ثم فاضت روحه وهو يردد قوله الويل لي انا الجاني . فكان ذلك مما زاد المكيمة غمّاً واسفاً وندم ولكن حين لا ينفع الندم وعاد للبحث عن امراته وافترغ كل ما في وسعه فلم يقف لها على خبر . فاستدعى واحداً من احدق الشرطة في المملكة وكشفه بالامر وارسله يبحث عن الزوجة والولد ان كان لها ولد ووعدته باعظم الجزاء ان جاءه بالخبر اليقين . فانطلق الرجل في مساعاه وبحث واستقصى حتى لم يدع موضعاً ومضى على ذلك عدة سنوات لم يفتر فيها عن البحث ولم يظفر بطائل .

واتفق بعد ذلك انه كان في بعض الايام يعتسف الفلاة وقد دنت الشمس من المغيب فبصر بمنزل العجوز فتوجه نحوه ولما قرب منه رأى العجوز ساجدة على ضريح وهي تصلي . فلما رآته نهضت فاستقبلته وادخلته المنزل وفي اثناء الحديث سألتها عن الضريح فاخبرته ما علمت من قصة صاحبه ولدها فايقن الشرطي ان هذه هي المركيزة التي يبحث عنها . فقال لها واين الولد فقالت انه هرب ليلة من المنزل ولم نعد نسمع عنه شيئاً . فلستخبرها عن هيئته وحلاه ليتمكن من استطلاع خبره وبعث في تلك الليلة يخبر المركيز بالامر وينعى اليه امرأته ويعده بالسعي في ادراك الفتى فتأسف المركيز ونواح وبكى زوجته التي قتلها ظلماً ولم يبق له ما يعز به عنها الا الامل في وجود ولده وكان في تلك المدة قد استفحل امر جاك وكثرت جرائمه وبذلت الحكومة وسعها في القبض عليه فكان يهزأ بها . اما المركيز فكان مسروراً بما سنه للبلاد من الاحكام راضياً عن عماله مغتبطاً برضى ملكه عنه ولم يكن يقلقه ويشغل باله سوى امرين مهمين اولهما وجدان فلذة كبده والثاني القبض على اللعين جاك

وفي اثناء ذلك طارت البشرية في انحاء انكترا بالقاء القبض على جاك واحضاره الى العاصمة مكبلاً بالحديد ليلقى جزاء ما جنت يداه وبديهي ان الحكم على مثله لا يكون الا بالقتل لكثرة ما انغمس في الجرائم وسفك من الدماء وانتقل الحكم عليه من مجلس الى آخر حتى انتهى الى قاضي القضاة الاكبر وهو المركيز . فلما كان اليوم المضروب لتلك الجلسة غضت ساحة المجلس بجماهير الوافدين لسماع الحكم ثم جيء بجاك فأقيم امام منصة القضاء

والجند من حوله وعيون الالوف من الخلق مصوبة اليه ومع ميل الجميع الى الانتقام منه فانه لم يكن فيهم الا من اشفق على شبابه وجمال طلعته ولما انتظمت الجلسة سأل المركيز جاك هل له من حجة يدفع بها عن نفسه . فاجاب بجأش ثابت ونفس لا تعرف الخوف اني اعرف نفسي امراً مجرمًا وأعترف امام هذا الجمع باني ارتكبت افظع الذنوب وقتلت في حياتي لا اقل من مئة نفس . لقد ولدني الشقاوة وربتني الجرائم وستكون نهاية حياتي الشقية على يد القضاء . اجل اني مستحق للموت وانا اهواه واتمناه لانه سيجمعني بالشخص الذي حرمتني الحياة . نعم اني اتمنى الموت لاجتمع بوالدي . . .

ومع كل ما ابداه من ثبات الجنان في وقوفه وكلامه فانه لم يذكر اسم والدته حتى امتنع لونه وارتجفت شفتاه وغطى وجهه بكف يديه وبكى بكاءً مرًا . وخاف المركيز من حدوث حادث فامر بالسكينة ووقف ليتلو الحكم فقال بعد كلام . . وبناءً على قرارات المجالس المذكورة وثبتت حقيقتها فقد حكمنا باسم ملكنا المعظم على هذا المجرم جاك وقبل ان يتم نطقه ففتح الباب واندفع الى الوسط رجل يكاد يطير سرعة حتى وصل الى منصة المركيز ودفع اليه رقعة واسر اليه كلاماً فلما قرأ المركيز الرقعة شخصت عيناه وارتعشت اعضاؤه وسقط على كرسيه كمن أصيب بشلل عام . فشخص الجمهور كله لذلك المنظر ووقفوا ينتظرون ما يكون وراءه وبعد هنيهة قام المركيز وقد ظهرت على وجهه علام الكرب والاسى وفتح فاه للنطق فلم يستطع ثم اكب على الورقة التي في يده فكتب عليها كلمتين

وعاد فتجدد بما بقي عنده من القوة وأتم كلامه فقال قد حكمنا عليه ان يقتل باطلاق الرصاص في الدار الخارجية بعد نصف ساعة . ثم سقط ثانية على كرسيه وهو يئنّ ائناً موجعاً فزاد تعجب القوم وكان اشدّهم تعجباً القضاة لان حكمهم عليه كان بالاعمال الشاقة مدة العمر فراه قد غيره بالموت العاجل وبعد نصف ساعة احتشد الخلق الى محل العقاب وقيده الى الوسط وتقدم الجند لتقيده فابى ولم يبق لانفاذ الحكم الا بحضور رئيس القضاة ليأمر باطلاق الرصاص . فلما حضر وقف بازاء المحكوم عليه وكان عشرة من الجند واقفين بنادقهم المصوّبة فامرهم باطلاقها ثم هجم بسرعة البرق فالتقى بنفسه على جاك وكان الجند قد اطلقوا بنادقهم فسقط الاثنان معاً يختبطان في دما نهما فوق هذا الامر على وجه المشاهدين اغرب موقع ولم يستطيعوا ان يفهموا شيئاً من سر هذا الحادث وارتفع الخبر الى الملك فحضر بنفسه لتحقيق الامر وينا هو يتأمل في ذلك المنظر رأى يد المريكز مطبقة على رقعة فامر باحضارها فاذا هي رسالة من الشرطي الذي بعثه المريكز للبحث عن ولده يقول فيها اني في هذه الدقيقة تحققت ان ولدك الذي نحن في البحث عنه منذ عشرين سنة هو نفس جاك الذي القيم القبض عليه ولم يصير الى هذه الحالة الا مدفوعاً بشدائد الدهر والآن فاعمل كل ما في وسعك لتأخير الحكم الى ان نجتمع وازيدك بياناً . ثم نظر الملك واذا تحت هذا الكلام بخط المريكز « العدل اساس الملك » . فاستدعى الملك الشرطي المذكور فاخبره بما كان فحزن حزناً شديداً وامر بنقل الجثتين ودفنهما في ضريح واحد وبني عليها كنيسة وكان يزورها في اكثر الايام الى آخر حياته

الوقاية من السل

قد اشتد اهتمام الممالك الاوروبية في هذه الايام بامر هذا الداء الويل الذي ضرب اطنابه في اكثر المدن النماء وانتشرت عدواه انتشاراً ذريعاً ولا سيما في الارحاء الفرنسية حيث يموت به في السنة لا اقل من مئة وخمسين الف نفس . وقد عقد في اواخر شهر اغسطس في مدينة باريز مؤتمر طبي اجتمع فيه اشهر الاطباء من جميع ممالك اوربا للبحث في هذه العلة والوقوف في طريق امتدادها ونحن نشر خلاصة ما دار من المباحث في هذا المؤتمر ملخصة عن مقالة طويلة للدكتور نيوانكلسكي نشرها في احدى المجلات العلمية قال

لا يخفى ان هذه العلة اكثر الامراض المعدية انتشاراً واعظمها فتكاً في نفوس المصابين بها فان الذي يؤخذ من مجمل الاحصاءات انها تناول الربع من افراد الاسر الفاشية بينها ويموت بها ما يزيد على السدس فهي اشد فتكاً من الكوليرة لانا اذا تفقدنا اعداد الذين ماتوا بالكوليرة في قسم السين من سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٥٣ وجدناهم ٥٧ الفاً الا ان السل يقتل في كل سنة ١٤ الف نفس في القسم عينه وعليه في اربع سنوات فقط يفعل ما فعلته الكوليرة في احدى وعشرين سنة

اما اسباب السل فانه ينشأ عن نوع من الجسيمات الحية اكتشفه الدكتور كوخ بهيئة عصيات مستطيلة يبلغ طول الواحدة منها ٣ من الف من المليمتر وقطرها نحو العشر من ذلك . وهذه الجسيمات تمتاز بقوتها